بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ وَأَتَمَّ عَلَيْنَا النِّعْمَةَ وَأَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، نَبِيُّنَا الصَّادِقُ الأَمِينُ، ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– فَإِنَّ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ فِي تَقْوَاهُ ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[١].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَحَلَّ لِعِبَادِهِ الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ، وَمَنْ نَظَرَ نَظَرَ المُتَأَمِّلِ فِي حُكْمِ اللهِ وَجَدَ الحِكَمَ البَالِغَةَ فِي تِلْكَ الأَحْكَامِ؛ فَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَلَّهُ اللهُ إِلاَّ كَانَ فِي حِلِّهِ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ حَرَّمَهُ اللهُ إِلاَّ كَانَ فِي تَحْرِيمِهِ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَجَلَّى حَقُّ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[٢]، وَمَنْ نَظَرَ فِي أَحْكَامِ هَذَا الدِّينِ وَجَدَ أَنَّ مَا فِيهَا مِنْ حِلٍّ وَحُرْمَةٍ يَتَحَقَّقُ بِهِ التَّكْرِيمُ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ لِلإِنْسَانِ وَامْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٣].

وَمَنْ رَجَعَ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ – عِبَادَ اللهِ – وَفَكَّرَ حَقَّ التَّفْكِيرِ وَقَدَّرَ تَمَامَ التَّقْدِيرِ، رَأَى أَنَّ فِي دِينِ اللهِ الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالسَّعَادَةَ الأَبَدِيَّةَ فِي الآخِرَةِ؛ فَإِنَّ فِي دِينِ اللهِ اليُسْرَ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَولِهِ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[٤]، وَفِيهِ رَفْعَ الحَرَجِ الَّذِي ذَكَرَهُ

(١) سورة الطلاق/ ٤.
(٢) سورة التين/ ٨.
(٣) سورة الإسراء/ ٧٠.
(٤) سورة البقرة/ ١٨٥.

فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1]، وَفِيهِ التَّخْفِيفَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[2]، وَمِنْ هُنَا كَانَ كَمَالُ الدِّينِ مِنَّةً مِنَ اللهِ، وَتَمَامُهُ نِعْمَةً، وَمَا أَحْسَنَ قَولَ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[3]، فَلا يَمْلِكُ المُؤْمِنُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَقُولَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[4].

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا:

إِنَّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ السَّيْرَ فِي الأَرْضِ، وَلا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ سَفَرُهُ مُهْمَلًا مِنْ غَيْرِ نِيَّةِ خَيْرٍ؛ فَإِنَّ النِّيَّةَ الحَسَنَةَ تَجْعَلُ المُبَاحَاتِ طَاعَاتٍ؛ فَيَكُونُ فِي سَفَرِ الإِنْسَانِ ثَوَابٌ يَجِدُهُ فِي صَحِيفَتِهِ، وَمَا أَعْظَمَ حَاجَةَ الإِنْسَانِ إِلَى كُلِّ حَسَنَةٍ! وَمَا أَشَدَّ افْتِقَارَهُ إِلَى كُلِّ طَاعَةٍ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[5]، وَمَنْ سَافَرَ مُنْطَوِيًا عَلَى نِيَّةِ سُوْءٍ – وَالعِيَاذُ بِاللهِ – وَجَدَ سُوْءَ نِيَّتِهِ سَيِّئَاتٍ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[6]، إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[7] ، ((وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ)).

وَقَدْ نَبَّهَنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ عَلى أَنَّ لِلسَّفَرِ أَغْرَاضًا وَغَايَاتٍ؛ فَالسَّفَرُ يَكُونُ لِطَلَبِ العِلْمِ الَّذِي يَنْفِي بِهِ الإِنْسَانُ الجَهْلَ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ النَّاسِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[8]، وَالسَّفَرُ يَكُونُ لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالابْتِغَاءِ مِنْ فَضْلِ اللهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[9]، وَالسَّفَرُ يَكُونُ لِلنَّظَرِ فِي الخَلْقِ وَعَجَائِبِهِ وَصُنْعِ وَصُنْعِ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ

(١) سورة الحج/ ٧٨.
(٢) سورة النساء/ ٢٨.
(٣) سورة المائدة/ ٣.
(٤) سورة الأعراف/ ٤٣.
(٥) سورة الزلزلة/ ٧.
(٦) سورة الزلزلة/ ٨.
(٧) سورة البقرة/ ٢٢٢.
(٨) سورة التوبة/ ١٢٢.
(٩) سورة الملك/ ١٥.

ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[١]، وَفِي السَّفَرِ نَظَرٌ فِي أَحْوَالِ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِنَا؛ لِيَعْتَبِرَ الإِنْسَانُ وَيَتَّعِظَ؛ فَيَأْخُذَ الخَيْرَ وَيَتْرُكَ الشَّرَّ، يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾[٢]، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((فِي دِينِنَا فُسْحَةٌ))، وَإِنَّ مِنْ فُسْحَةِ دِينِنَا إِبَاحَةَ السَّفَرِ؛ تَنْشِيطًا لِلنَّفْسِ وَتَوْسِعَةً عَلَيْهَا وَعَلَى العِيَالِ ﴿ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[٣].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ.

أَمَّا بَعْدُ،

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ– وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلسَّفَرِ آدَابًا لا يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْهَا؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ فِي سَفَرٍ دَعَا بِدُعَاءِ السَّفَرِ، وَكَانَ إِذَا صَعِدَ مُرْتَفَعًا كَبَّرَ، وَإِذَا نَزَلَ سَبَّحَ اللهَ، وَكَانَ إِذَا نَزَلَ فِي مَكَانٍ قَالَ: ((أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ))، وَكَانَ إِذَا عَادَ إِلَى وَطَنِهِ دَخَلَ مَسْجِدَهُ قَبْلَ دُخُولِهِ بَيْتَهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، وَإِنَّ مِنَ الوَاجِبِ فِي السَّفَرِ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ عَلَى أَحْسَنِ خُلُقٍ؛ فَلا يُزْعِجَ النَّاسَ بِعُلُوِّ صَوْتِهِ أَوْ سُوءِ سُلُوكِهِ وَعَمَلِهِ، وَيُحَافِظَ عَلَى نَظَافَةِ المَكَانِ وَحُسْنِهِ، وَكَمْ رَأَيْنَا مِنَ التَّصَرُّفَاتِ مَا لا يَفْعَلُهُ عَاقِلٌ؛ فَيَنْزِلُ الإِنْسَانُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ، وَيُغَادِرُهُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلاسْتِعْمَالِ وَالجُلُوسِ فِيهِ؛ فَأَيْنَ هَذَا وَتَصَرُّفُهُ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي يَدْعُو إِلَى إِمَاطَةِ الأَذَى، وَهُوَ أَلْقَى الأَذَى وَلَوَّثَ المَكَانَ، وَحَرَمَ النَّاسَ مِنَ الانْتِفَاعِ بِهِ، وَلَيْتَ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا الصَّنِيعَ الشَّائِنَ يَتَذَكَّرُ قَوْلَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٤].

(١) سورة العنكبوت/ ٢٠.
(٢) سورة الأنعام/ ١١.
(٣) سورة يوسف/٣٨.
(٤) سورة الأعراف/ ٨٥.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) سورة الأحزاب/ ٥٦.